



السبت 10 أبريل 2021 04:38 م

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) البقرة

اللهم اعتق رقابنا و رقاب من تهفو القلوب لهم و تحن

ذكريات:

أخي وحبيبي وقره عيني، يا من أذكرك فينشرح صدري، وتنبسط أساريري، وتعود بي الذكرى إلي أماننا الجميلة التي قضيناها معاً في رحاب هذه الدعوة المباركة، كأني أسمع صوتك الشجي يتردد صداه في وجداني وأنت ترتل القرآن الكريم فُتْبِكِي الحاضرين، ويخيم علينا جو روحاني كأن ملائكة السماء تحفنا بأجنحتها، وتشف أرواحنا حتى لكأننا نخلق في الملاء الأعلى، أتمثلك الآن يا أخي الحبيب وأنت تجلس بيننا في حلقة المسجد، وتقرأ أذكار المساء في رمضان، وأستعيد ذلك الشعور الرائع الذي كنت أحس به حينها، إذ تحوطنا قلوب الناس تعبيراً عن حبهم العميق للإسلام الوسطي المعتدل، وارتباطهم الوثيق بالدعاة العاملين، وقد كان الناس يعدووننا منهم، أستعيد ذلك الشعور فتنتابني فرحة عامرة بنعمة الله وتوفيقه، وأتذكر كلماتك لي أن الدعوة إلي الله عز وشرف يختار الله لها من يشاء من عباده ويصطفهم لهذه المهمة العظيمة ليسيروا علي طريق الرسل والأنبياء، فيسري في نفسي شعور قوي يغالب العوائق، ويقهر الأعداء. أتمثلك الآن يا أخي الحبيب وقد حضرت إلينا ذات يوم في موعد وأنت مريض فقلت لك لماذا لم تعتذر؟ فقلت لي: إن شفائي في وجودي بينكم، وأتمثلك الآن يا أخي وقد أخطأ في حقل أحد إخواننا فذهبت إليه تصالحه وتطيب خاطره وتعتذر إليه وتقول: تخطئون فاعتذر إليكم، وتمرضون فنتألم أكثر منكم، وتأكلون فنحس بالشبع، وتشربون فنشعر بالري حتى أطفالنا.. كيف لا ورسولنا يقول: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحِيهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (رواه البخاري ومسلم، وهذا لفظ مسلم).

مشاعر:

أَتَذْكُرُ يا أخي الحبيب هذه المعاني الجميلة التي غرستها فينا؟ لقد كنت أحب لقاءك، وأستريح إلي وجودي معك؛ لأنك كنت تذكرني دوماً بالآخرة، وتعيني دوماً علي طاعة الله، وتحضني دوماً علي الالتزام بطريق الدعوة، وترغبني كثيراً في الجهاد والتضحية. نعم لقد كنت لي قلباً كبيراً، وعقلاً منفتحاً، وقدوة عملية، تعلمت منك الكثير، وبدأت حياتي الدعوية في صحبتك، لقد أرشدتني إلي أعظم طريق، وكنت دليلي إلي أفضل الخير، وغرست في عقلي وقلبي أروع الأشجار والأزهار، وأهديتني أعظم ما أحرزت في دنياي، إذ كنت لي عوناً كي أتاجر مع الله، وأبيع نفسي لله، وأسير مع أهل الله، في طريق الله، واليوم يا أخي الحبيب أشعرُ بالوحشة الشديدة إليك، وأتألم لغيابك عني كأن عضواً من أعضائي قد اقتطع مني بفأس قديم، لست بأبلغ في ذلك أدني مبالغة، بل لعل كلماتي لا تصف مثقال ذرة من مشاعري؛ فشعوري لفقدانك إلي جوارِي في هذا الوقت العصيب، كشعور الأم الثكلى التي فقدت وحيدها، الشاب البار بها، وهي في أشد الحاجة إليه، وقد كبرت سنها، ورقت عظمها، ووهنت قوتها، وتخلي عنها الغريب والقريب، وهل هناك أشد من الألم لغيابك عن الطريق التي مهدتها لي ولكثيرين غيري؟ .

أخي الحبيب: لقد فقدت بغيابك الساعد والعضد، والظهر والسند، والرغد والمدد، لقد كنت لي أحاً وأباً وشيخاً وأستاذاً ومعلماً وقائداً، فكيف لا أتألم لغيابك الآن؟ نعم يا أخي: أفقدت كثيراً، وأحسُّ إليك كثيراً، حين الأرض المجدية إلي الغيث، وأبتهل إلي الله تعالى كثيراً أن تعود إلينا سالماً غانماً فأنت من صاحب القلب اليقظ، والعقل المتقد، والرؤية الثاقبة، واليد الحانية، والنفس الرقيقة، والشعور المرهف، والدمعة القربية، والعلطة المؤثرة، والتوجيه الحكيم. وكيف لا ورسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» (رواه البخاري ومسلم). هذا حق العامة؛ فكيف برفقة الدرب وصحبة الطريق وأخوة الإيمان وشقائق الروح؟.

حقائق:

أخي الحبيب: هيا نتذاكر ما تربينا عليه معاً، والذكرى تنفع المؤمنين، فلا يخفي عليك أن الدعوة إلي الله تعالى فريضة شرعية وضرورة بشرية، وهي شرف للمتسيبين إليها، والمنضوين تحت لوائها، وأن الله تعالى يصطفي لها من يشاء من عباده، وأن من طبيعة طريق الدعوة أنه وعر غير ممهد، وأنه مليء بالأشواك والعقبات، والتعاريج والمنعطفات، وينتشر علي جانبيه اللصوص وقطاع الطرق، وأن السير فيه يحتاج إلي يقظة وحذر، وفطنة وتأهب،

كما يحتاج إلي تفسر طويل، وصبر جميل، وقوة نفسية عظيمة، نعم إن السير في هذا الطريق مخاطرة كبيرة، ولكنها تستحق؛ فالجائزة كذلك عظيمة؛ والجنة هي نهاية هذا الطريق بإذن الله تعالى لمن صدق سيره إلي الله وحده. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمُنِيرَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ عَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ» (رواه الترمذي وصححه الألباني). قَالَ الطَّبِيُّ رحمه الله: "هَذَا مَثَلٌ صَرَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَائِلِكِ الْأَجْرَةِ، فَإِنَّ السُّبُطَانَ عَلَى طَرَفَيْهِ، وَالنَّفْسُ وَأَمَانِيَّتُهُ الْكَادِبَةُ أَعْوَانُهُ، فَإِنَّ تَبَقُّطَ فِي مَسِيرِهِ، وَأَحْلَصَ النَّبِيَّةَ فِي عَمَلِهِ، أَمِنَ مِنَ السُّبُطَانَ وَكَيْدِهِ، وَمِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ يَا عَوَانِيهِ، كَمَا أُرْسِدَ إِلَى أَنْ سَلُوكَ طَرِيقَ الْأَجْرَةِ صَعْبٌ، وَتَحْصِيلُ الْأَجْرَةِ مُتَعَسِّرٌ، لَا يَحْضُلُ يَأْتِي سَعْيٍ" (تحفة الأحويدي).

هلموا الي مراتب أهل الهمم :

أخي الحبيب قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْقُرْآنِ﴾ فرمضان هو النعمة الإلهية الكبرى الرحمة التي يمنحها الله لعباده كل عام ليتوب عاصيهم ويفيق غافلهم ويذكر ناسيهم ويزداد الذين آمنوا إيماناً. إن مدار الأمر بالنسبة للعبد المؤمن في شهر رمضان ، يدور حول ضمان القبول في مدرسته الإيمانية ، واعتلائه منصة التتويج في نهاية تربيته المغلق ، ليكتب في قوائم المرحومين والمقبولين والمعنوقين ، ويعلم فائزاً متوجاً ، ليتداول اسمه في الملأ الأعلى ، وهو شرف ما بعده شرف ، يتمناه كل مؤمن صادق الإيمان ، لأن ذلك علامة علو المقام وارتفاع المنزلة عند المولى عز وجل ، وقد كان هذا التشريف (ذكر الاسم في الملأ الأعلى) مبتغى الصالحين ومرتجى السائرين إلى الله ، لأنهم يدركون قيمته ونفاسه ويعرفون فضله ونتيجته ومنتهاه ، لذلك لما نزلت : ((لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب)) إلى آخرها ، قال جبريل : يا رسول الله ، إن ربك يأمرك أن تقرئها أياً (أي ابن كعب). فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي : ((إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة)) . قال أبي : وقد ذكرت ثم (أي هناك في الملأ الأعلى) يا رسول الله ؟ قال : نعم. فيكي أبي .(رواه أحمد). وللوصول إلى هذا التتويج ، وتحقيق هذه الغاية في موسم الخيرات هذا ، لا بد من السير والتخليق العملي بصدق وإخلاص وعزم وإرادة وتصميم ، في مراتب الصعود في مدارج القبول في مدرسة الثلاثين يوماً ، وتخطيها بنجاح مرتبة مرتبة من مرتبة بلوغ الشهر وشهوده للوقوف في نهاية المطاف على منصة الفوز والقبول. وهذه المراتب هي : 1-مرتبة الشهود "بلوغ الشهر" 2-مرتبة التدقيق "من العبادات والرحمات" 3-مرتبة التعرّف 4-مرتبة التيقظ 5-مرتبة الاعتراف "بالتقصير" 6-مرتبة التنقي (التخلية) 7-مرتبة الاعتراف "من الطاعات" 8-التطلع "الي المغفرة" 9-مرتبة التوفيق "بالعق" 10-مرتبة القبول.

أخي الحبيب: بالطبع لا تشغلنا فريضة عتق رقابنا من النار عن واجبنا تجاه حال الأمة فالتربية الذاتية هي الزاد وإن الصراع بين الحق والباطل اليوم علي أشده، والمعركة الحالية في أرجاء العالم الإسلامي معركة وجود ومصير، ولا يمكن تفاديها أو الفكاك منها أبداً؛ حتي لمن يؤثر السلامة وابتعد عن الميدان؛ فهي معركة مفروضة علينا نخوضها للدفاع عن الإسلام وشرف الأمة وهويتها ومقدساتها ومقدراتها؛ فالأعداء لا يرضون بأقل من الخضوع الكامل لهم، ولا يقبلون الإسلام الصحيح المعتدل المقاوم للظلم والتبعية بأي شكل من الأشكال، ولا بأي درجة من الدرجات؛ لأنهم يرون تهديداً وجودياً لهم، ومن ثم اتخذوا من القضاء عليه استراتيجية دائمة، واعتبروا ذلك مسألة أمن قومي لهم، لقد كنا نقول منذ زمن أن الإخوان أمل الأمة؛ إذ أخذوا علي عاتقهم مسئولية إيقاظ الأمة وتعريفها بحقوقها وواجبها ومكائدها وأعدائها، وتهيئتها للمقاومة والتحرر من كل سلطان أجنبي، واليوم في ظل هذا الواقع المختلط، والصورة الضبابية، والمحنة الشديدة أصحى الإخوان فعلاً وواقعاً أمل هذه الأمة في الخلاص، وأمل هذه الأمة في النهوض من جديد، فالإخوان رغم الصربات التي تعرضوا لها ما يزالون بفضل الله وتوقيفه رأس الحربة للمشروع الإسلامي، وما يزالون في قلب الأحداث، وهم الآن طليعة الأمة في مقاومة الاستبداد والفساد، والظلم والطغيان، وطلليعة الأمة في مقاومة الأجنبي الغاصب، وطلليعة الأمة في الدفاع عن الأرض والعرض، وطلليعة الأمة في الحفاظ علي الهوية والمقدسات وثوابت الدين، وطلليعة الأمة في إرشاد المجتمع وتوعيته وإيقاظه وحشد جهوده وملاقاته في التحرر والبناء.

أخي الحبيب: لنا بيعة مع الله تعالى أن نعيش ما بقينا في هذه الدنيا وفقاً لله تعالى، وأن نقدم أرواحنا في سبيل الله إذا اقتضى الأمر ذلك، فحياتنا في سبيل الله، وموتنا في سبيل الله ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: 162 - 163) ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْعَقُورُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: 111). إن هذه البيعة لكي تتعقد وتنتم وتمضي، ونستحق مقابلها الثمن الذي وعد الله به؛ فلا بد أن نفي نحن أولاً بشروط العقد التسعة المذكورين في الآية التالية مباشرة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَامِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْخَافِطُونَ لِحُذُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: 112). ولهذا أخي أذكرك معك عهدي وعهدك وبيعتك "اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب قد اجتمعت علي محبتك، والتقت علي طاعتك، وتوحدت علي دعوتك، وتعاهدت علي نصره دينك وشريعتك؛ فوثق اللهم رابطينها، وأدم ودها، واهدها سبيلها، واملاها بنورك الذي لا يخبو، واشرح صدورها بفيض الإيمان بك، وجميل التوكل عليك، وأحيها بمعرفتك، وأمتها علي الشهادة في سبيلك، إنك نعم المولي ونعم النصير."